الفصل الثانـــى

====

التقاء الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة الإفريقية في بلاد العفر والقرن الإفريقى

المحتويـــات :

١ – أهمية القرن الإفريقى بالنسبة للعرب جغرافيا٠

٢ – جذور العلاقات الثقافية العربية والثقافة الإفريقية فى القرن الإفريقى بصفة عامة وبلاد العفر بصفة خاصة٠

٣ – التبادل الثقافى بعد ظهور الإسلام ٠

٤ – الثقافة وتأثيرها فى العفر والسلطنات الإسلامية فى الحبشة٠

١ - أهمية القرن الإفريقي بالنسبة للعرب جغرافيا :

تعتبر منطقة القرن الإفريقى حلقة الاتصال بين أجزاء الوطن العربى فى قارتى آسيا وإفريقيا ، وقد سميت المنطقة بالقرن الإفريقى لأنها تشكل ذلك النتوء البارز فى الجانب الشرقى من وسط القارة الإفريقية ، كما تطل المنطقة على بحر العرب شمال غرب المحيط الهندى ، وتشكل مع جمهورية اليمن ومع الصومال وجيبوتى وإثيوبيا وإريتريا المدخل الجنوبى للبحر الأحمر الذى يقف عند مدخله باب المندب · ويحده جغرافيا من الغرب خط وهمى يمتد من خط الحدود السياسية بين كينيا والصومال إلى حدود جيبوتى الغربية · وقد برزت الأهمية الاستراتيجية لمنطقة القرن الإفريقى باعتبارها تتحكم فى طريق البترول بين منطقة الخليج ودول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية (١)·

كما تتحكم هذه المنطقة فى الطرق الدولية للتجارة العالمية إلى المحيط الهندى أو عبر البحر الأحمر والمتوسط عن طريق باب المندب والبحر الأحمر وقناة السويس ثم البحر المتوسط ومضيق جبل طارق وكذلك مضيق موزمبيق ورأس الرجاء الصالح ثم المحيط الأطلنطى ·

وترتب على تلك الأهمية للقرن الإفريقى أن أصبح منطقة صراع بين القوى العظمى فالكل يتسابق على فرض نفوذه عليها للاستئثار بمزاياها

---

(1) John Spencer, The Horn of Africa, S. Bolicy, Cembridge: Institute Foreign Policy, Analysence, September, 1977. P. 17-33 .

الجغرافية والاستراتيجية ، دون غيره وذلك لتحقيق أحد الأهداف الاستراتيجية الكبرى بتأمين السيطرة على طرق الإمداد بالبترول · ومن هنا جاء الاهتمام العربى بهذه المنطقة قديما وحديثا لأن الارتباط العربى بشعوب دول منطقة القرن الإفريقى ليس بالحدث الجديد بل إن جذوره تضرب فى أعماق التاريخ· كما أن التواصل البشرى والتجارى والحضارى بين الجزيرة العربية والقرن الإفريقى يرجع إلى العصور القديمة · فقد كان البحر الأحمر والمحيط الهندى يشكلان همزة الوصل بين السواحل الإفريقية عموما ومنطقة القرن الإفريقى خصوصا وشبه الجزيرة العربية · كما كان التجار العرب أول من نقل المؤثرات العربية إلى القارة الإفريقية وإلى شعوب هذه المنطقة · كذلك فإن بعض الهجرات البشرية قد شقت طريقها قبل ظهور الإسلام وبعده · وازدادت أهمية هذه الهجرات وفاعليتها بظهور الإسلام الذى أعطاها السند الروحى والمضمون السياسى كما سنشاهد عند سردنا لتأثير الثقافة العربية على عموم القرن الإفريقى ·

٢ - جذور العلاقات الثقافية العربية والثقافة الإفريقية فى القرن الإفريقى بصفة عامة وبلاد العفر بصفة خاصة :

كما أوضحنا فى السابق أن العلاقة بين شعوب جزيرة العرب والساحل الغربى للبحر الأحمر قديمة قدم التاريخ نفسه · بل إن علماء الجيولوجيا يؤكدون أن إفريقيا والشرق العربى كانتا رقعة واحدة ، حتى انفلقت قشرة الأرض وفصل البحر الأحمر بينهما · وكما هو معروف أن البحر الأحمر عرف بأسماء متعددة (كالبحر الأحمر الفرعونى ، والبحر الحبشى . وبحر القلزم) · وما يفصل بين اليمن والقرن الإفريقى لا يعدو

أميالا معدودات (١) ٠

ولم يكن البحر الأحمر رغم وعورة مسالكه يشكل مانعا للهجرات البشرية أو الصلات التجارية ، ومن ثم فقد كانت التحركات البشرية عبر البحر الأحمر أو مضيق باب المندب ميسرة للعرب والأفارقة على حد السواء ٠

ومن الساحل الغربى غزا الأحباش اليمن فى عهد أبرهة ، ومن الجزيرة العربية كانت هجرات الشعوب الناطقة باللغة السامية كالأحباش والعرب ٠ وقد عبر بعض المهاجرين البحر الأحمر إلى الساحل الإفريقى وكان نصيب بلاد الحبشة والقرن الإفريقى من هذه الهجرات كبيرا ، ومن المعروف لدى الجميع أن بلاد الحبشة أخذت اسمها من قبيلة (حبشيت) الوافدة من جنوب الجزيرة العربية، ومن المعروف أنه كان يطلق اسم الحبشة فى العصور القديمة على المنطقة التى كانت تقطن فيها شعوب القرن الإفريقى بما فيهم العفريون والأرمو والصومال والإريتريون وغيرهم ، كما أن اللغة الحبشية القديمة التى تعرف (بالجعز) وهى لغة سامية قد اقترنت بتلك المنطقة أيضا٠ وقد يسر ذلك كله سهولة الملاحة فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر ووجود الموانى الطبيعية على ساحله الغربى ، وكان ارتياد البحر واحدا من المناشط التى ألفها سكان جنوب الجزيرة والعفريون على حد السواء ٠

وما أن استقر التجار العرب على الساحل الإفريقى حتى توغلوا فى الداخل بغية توسيع دائرة مناشطهم التجارية ٠ ثم تبعتهم فيما يبدو هجرات عربية أخرى٠ ومما يؤكد ذلك وجود آثار حبشية فى منطقة نجران وإريتريا

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : العلاقات بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية، ص ٣٣ ٠

ترجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد· كما بلغ بعض الوافدين للجزء الجنوبى من بلاد البجة الناطقين باللغة الحامية واختلطوا بالسكان الوطنيين حتى ذابوا فيهم ، وإن كان لسانهم السامى ما زال غالبا على بعض لغات إريتريا وبخاصة بين التجرى (Tigree) ·

ويتضح من هذه المقدمة المختصرة أن بعض سكان الجزيرة العربية، خاصة فى منطقتى اليمن وحضرموت قد شقوا طريقهم إلى ساحل البحر الأحمر الغربى قبل ظهور الإسلام، ونتيجة لرحلاتهم التجارية واستقرار بعضهم فى الساحل الإفريقى، فقد خلقوا نواة للصلات بين جزيرة العرب وإفريقيا · وقد ازدادت الصلة نموا ، واتسع أثرها وقويت فاعليتها بعد ظهور الإسلام الذى أعطاها دعما روحيا وسندا سياسيا · والصلة بين سكان الجزيرة العربية وساحل البحر الأحمر وشعوبها فى كل من إريتريا والعفريين والصوماليين ربما كانت أقدم وأعرق مما نوهنا به ·

ولعل شدة التشابه العرقى واللغوى بين الشعوب اللإفريقية فى القرن الإفريقى الناطقة باللغات الحامية أو الكوشية والشعوب الناطقة باللغات السامية كالعرب والأحباش ، جعلت بعض الباحثين يرجحون أن هاتين المجموعتين قد عاشتا فى موضع واحد ردحا من الزمن تنتميان فى أصولهما القديمة إلى شعب واحد · ويزعم بعض الباحثين أن موطن (الساميين) الأصلى هو شرق إفريقيا وليس الجزيرة العربية كما هو معروف ، هذا لأن المجموعة الناطقة باللغة الحامية أو الكوشيه تنتشر على السواحل الشرقية والشمالية لإفريقيا وتشمل الصومال والعفر وأرومو والإريتريين والبجة والنوبيين والقدماء المصريين (الفراعنة) والبربر · وتضم لغات هذه الشعوب قدرا طيبا من الكلمات العربية ويتجلى هذا فى اللغة العفرية بصفة خاصة ·

وتؤكد هذه الصلات العرقية واللغوية التى كانت بين سكان الجزيرة العربية وسكان سواحل إفريقيا الشرقية ، أن تبادل التأثير الثقافى بين المجموعتين له جذور عميقة (١) ٠

وقبل أن نسترسل فى حديثنا هنا لابد من الإشارة إلى التعريف بكلمتى إفريقى وعربى ، فكلمة إفريقيا لم تطلق للدلالة على القارة السوداء كلها إلا فى العصر الحديث، وقد كانت إفريقيا وقفا على تونس إبان الاحتلال الرومانى، ولعلها أكثر الكلمات استعمالا للدلالة على من وفد من الساحل الشرقى لإفريقيا ، سواء كان ذلك عن طريق الرق أو الهجرة ٠

أما العربى فهو ساكن الجزيرة العربية سواء كان هذا العربى من العرب العاربة أو من العرب المستعربة ٠ وكانت السمتان العرقية واللغوية من أهم مميزات هذا العربى قبل ظهور الإسلام٠ وبالرغم من أن شبه الجزيرة العربية كانت (منطقة طاردة) فإن بعضها ممن وفد إليها واختلطوا بالعرب اختلاطا تاما واكتسبوا صفة (العروبة) بالمولد أو بالتمثل بالثقافة العربية٠ وهذا المفهوم الذى لا ينهض على أساس عرقى، بل يعتمد على أساس ثقافى هو الذى وسع معنى العروبة (٢) ٠ وقد تأكد هذا المفهوم الجديد بعد ظهور الإسلام وخروج العرب من حدود بلادهم التقليدية، واختلاطهم بالشعوب التى خضعت للنفوذ الإسلامى، فاستعربت تلك الشعوب وتمثلت فى الثقافة العربية الإسلامية ٠ فهؤلاء المستعربون الجدد لم يكونوا عربا بالمفهوم العرقى البحت، وإنما عرب بالمولد وعرب بالثقافة وعرب باللغة وبالانتماء والوجدان ٠

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مرجع سابق ، ص ٣٥ ٠

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٧ ٠

ويستوى فى ذلك من استعرب من النبط ، والفينيقيين والقدماء المصريين والبربر والنوبيين والإريتريين بما فيهم العفر والصومال · والمهم فى الأمر أن المفهوم الثقافى فى العروبة يتفق مع نظرة الإسلام الذى ساوى بين الجميع ·

وخير ما يؤكد هذا ما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه ابن عساكر بسنده إلى مالك بن أنس عن الزهرى عن أبى سلكة بن عبدالرحمن قال : (جاء قيس بن مطاطة إلى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى (١) ·

فقال : هؤلاء الأوس قاموا بنصرة هذا الرجل - يعنى النبى - صلى الله عليه وسلم - فما بال هؤلاء ؟

فقام إليه معاذ فأخذ بتلابيبه حتى أتى به إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بمقالته · فقام مقضبا رداءه حتى دخل المسجد ، ثم نودى الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أيها الناس إن الرب واحد وإن الأب أب واحد وإن الدين دين واحد ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم إنما هى لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربى » · فقال معاذ وهو آخذ بتلابيبه ما تقول فى هذا المنافق · فقال : (دعه إلى النار) · فقال : فكان ممن ارتد فقتل فى الردة (٢) ·

---

(١) هم ثلاثة من الموالى كانوا من أول من اعتنق الدين الإسلامى ·

(٢) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، لعبدالقادر أحمد الرومى الدمشى الحنبلى، دمشق، ١٣٤٩ ج ، ص ٤٥٠ ·

التبادل الثقافي بعد ظهور الإسلام (١) :

فلما جاء الإسلام عظم شأن السود ، واتسعت دائرة مشاركتهم فى الأرض واللغة والحديث والفقه والعمل العام وكان منهم بلال الحبشى الصحابى الجليل أول مؤذن فى الإسلام · ومنهم أيضا عطاء بن أبى رباح فقيه مكة ومحدثها ·

وقد بلغ بعضهم مبلغا بعيدا فى تمثل ثقافة العرب ولغتهم كأبى نعامه مولى بن سعيد والحفظان وكان شاعرا فحلا وخطيبا لا يبارى · وكان منهم وعكيم الحبشى أفصح من فصحاء العرب وقد أخذ منهم علماء الشام · ومن أبناء الزنجيات عرار بن شاش القائد الشهير و منهم سعيد بن جبير أعظم أصحاب عبدالله بن عباس فى الحديث ، وكذلك مسلم بن خالد الزنجى وهو من علماء الطبقة الخامسة وقد أخذ عنه الإمام الشافعى ·

كان لظهور الإسلام آثار عظيمة ونتائج باهرة على الجزيرة العربية فقد أمدت العقيدة الإسلامية للعرب سياجا دينيا وفكريا ساعدهم على خلق وحدة داخلية · فتحت راية الإسلام خرج العرب صوب الشرق والغرب والشمال ، وكانت الطرق التى سلكها العرب المسلمون إلى القارة الإفريقية هى نفس الطرق التى سلكها أجدادهم من قبل ، وكان ظهور الإسلام دينا عالميا وثورة فكرية كبيرة، واستهلالا لصفحة جديدة فى تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب وجيرانهم الأفارقة ·

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : مرجع سابق ، ص ٤٤ ·

وقام العرب المسلمون فى هذه الأقطار بالدور الإيجابى فى نشر العقيدة الإسلامية وبسط نفوذها السياسى والثقافى فى المرحلة الأولى ومنذ البدء صار الإسلام الركيزة الأولى للثقافة العربية ، كما أن اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ولغة أهل الجنة صارت وعاء للثقافة الإسلامية، وقد مهد انتشار الإسلام انتشار كثير من مظاهر الثقافة العربية كاللغة وظاهرة تمثل النسب العربى، ومع أن العرب لم يعرفوا بأنهم دعاة «تبشير» ملتزمون ، فإن نشرهم للثقافة العربية كان يلازمه عادة نشر الإسلام · وكان لتجار العرب والبدو دور رائد فى بذر نواة التعاليم الإسلامية فى المجتمعات الإفريقية· وسرعان ما رسخت أسس العقيدة الإسلامية وحلت بالتدريج مكان المعتقدات الوثنية والمسيحية التى كانت سائدة فى تلك المجتمعات وكانت مصر أول الأقطار الإفريقية تأثرا بالعقيدة الإسلامية ، فقد تأصلت فى زمن وجيز جذور الحضارة الإسلامية والثقافة العربية فيها حتى صارت مصر جزءا لا يتجزأ من كيان الأمة العربية الإسلامية ، بل تبوأت الزعامة الثقافية على العالم العربى فى كثير من الأحيان · فمن مصر تعربت كثير من المأثورات الثقافية فى البلاد المجاورة ·وهو تشرب مماثل لتشربها من الجزيرة العربية ذاتها · كما أن الموقع الجغرافى لمصر قد مكنها من أن ترتبط ارتباطا وثيقا بالكيان الإفريقى تؤثر فيه وتتأثر به حضاريا واقتصاديا، وكان دور مصر عظيما فى دعم التبادل الثقافى بين هذه الشعوب ·

الثقافة وتأثيرها في العفر والسلطنات الإسلامية في الحبشة :

وكما أوضحنا سابقا لم تقتصر الصلة بين العرب وبلاد القرن الإفريقى والحبشة على اليمن فحسب بل امتدت حتى شملت الحجاز · فقد كانت أرض هذه البلاد كما ذكر « الطبرى » متجرا لقريش يتاجرون فيها ويجدون فيها «رقاعا» (١) من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا ·

ولعل هذا ما حدا بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يشجع أصحابه على الهجرة إلى الحبشة هروبا بدينهم لما كثر إيذاء قريش لهم · وقال لهم « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملك لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مما أنتم فيه مخرجا · كما أن علاقة العرب والأحباش اتسمت بالود فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) · وكان لهذه الرعاية الكريمة التى أولاها النجاشى للمهاجرين أثر فى ألا ينزل المسلمون بلاد الحبشة منزلة أرض الجهاد ، بل اتسمت علاقتهم بها بالسلم فى معظم الأوقات ، وقد زاد تردد العرب المسلمين على هذه البلاد فى العصر الإسلامى من أجل التجارة· بالإضافة إلى المدن الساحلية التى كانت تحفل بتجارة العرب حيث أنشأ العرب مراكز تجارية جديدة على ساحل القرن الإفريقى ·

ومع نمو النشاط الاقتصادى العربى فى تلك المنطقة ، كثر استقرار العرب المسلمين واختلطوا بالسكان الوطنيين مما مهد لنشر الإسلام بين المواطنين تدريجيا · لذلك دخل الحبشة ، وتأثرت بلاد القرن الإفريقى ببعض

---

(١) الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير ، تأريخ الرسل والملوك ، لندن ٩٨٩ ، ج ٣٢٨ ·

(٢) محمد عبدالغنى سعودى : العلاقات العربية الإفريقية ·

المهاجرين العرب ، الذين توافدوا فى أعداد يسيرة تمثل مختلف الطبقات من زراع اليمن وتجار حضرموت وعمان والحجاز كما أوضحنا فى المقدمة · وكان أرخبيل دهلك وميناؤه مصوع وعصب وميناء زيلع الواقعة فى الجنوب وبربره، من أوائل المدن التى تأثرت بالإسلام والثقافة العربية ، ومنها تسربت بعض المؤثرات الثقافية عبر الطرق التجارية خصوصا فى السهول الساحلية بين بدو العفر «الدناكل والساهو» ومن أقصى الشمال، ومن ميناء سواكن ومصوع تدفق تيار إسلامى آخر عبر بلاد البجا حتى إريتريا ·

وفى أقصى الجنوب « بين الحبشة والصومال وبلاد العفر » مهد ذلك التسرب البطىء للثقافة العربية الإسلامية ، فنشأ عدد من الإمارات أو السلطنات الإسلامية فى أقصى الجنوب والتى تقع جنوب مضيق باب المندب، وقد عرفت هذه السلطنات عند المؤرخين العرب ببلاد «الطراز الإسلامى» ، لأنها على جانب البحر كالطراز لتلك المنطقة – وكونت حلفا إسلاميا عظيما كما أسلفنا الذكر – وكانت دائرة نفوذ ذلك الحلف الإسلامى أكبر من مساحة مملكة البجا المسيحية · كما كانت مسيطرة على موارد ذلك الإقليم وتجارته الخارجية سيطرة شبه كاملة · وكانت التجارة بالنسبة للمسلمين فى الحبشة منشطا مهما للكسب ، وقد مهد هذا النشاط التجارى لربط التجارة الحبشية بالبلاد الإسلامية وخاصة مصر وكانت معاملة سلطنة « أوفات » بدنانير مصر «الدراهم الواصلة إليها بصحبة التجار» (١) · وقصد مسلموا الحبشة فى ذلك الوقت بلاد اليمن والحجاز للتزود من مدارسها ، وكان أغلب أهلها على مذهب الإمام الشافعى ، وبعض من أتباع الحنفى ،

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة جـ ٢ ، ٣٣١ ·

وعرف سكانها فى العالم الإسلامى « بالجبرت» وهى كلمة حبشية بمعنى أجبرت ومعناها أيضا عباد الله ونسب إليها الجبرتى (١) ٠

وكلمة الجبرت لها معانى ومفاهيم كثيرة، وقد توسع مفهوم هذه الكلمة حتى صارت تطلق على المسلمين من الأحباش، وكان ملوك الإمارات الإسلامية إذا أحسوا بالاضطهاد من المسيحيين جاءوا إلى ملوك اليمن للعون والحماية ٠ فقد استنجد أبناء السلطان «أوفات» بالملك الناصر بن الأشرف بن إسماعيل فزودهم بالخيل والمال والعتاد الحربى ،وإن كانت العلاقة بين الحبشة واليمن يغلب عليها السلم دوما قديما وحديثا ٠ كما استنجد أهل «أوفات» بسلطان مصر محمد قلاون لنفس السبب ٠

وقد أصدر السلطان الناصر قلاون بطريك الكنيسة المصرية بمصر – وهو الذى يمد الكنيسة الحبشية بالمطارنة الأقباط – أمره بأن يكف ملك الحبشة عن إيذاء المسلمين ٠ وكان تدخل السلطان محمد بن قلاون غير المباشر واحدا من مظاهر العلاقات الكثيرة التى تربط بين بلاد الحبشة ومصر الإسلامية ٠ ولم تقتصر تلك العلائق على التعامل التجارى الذى نوهنا به ، ولكنها امتدت فشملت المناشط الدينية والثقافية وكان للأحباش أروقة خاصة بهم فى الجامع الأزهر، أهمها رواق الجبرتى – وهو موجود حتى يومنا هذا – ومد مسلمى الحبشة بالعلماء الذين عاشوا فى عصر الإمام فخر الدين بن على الزيلعى (٢) والمحدث الزيلعى جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد والشيخ على الجبرتى الجد السابع للمؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتى ٠ وكان من

---

(١) عبدالمجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، ص ١٥٦ ٠

(٢) نفس المرجع ، ص ٥٣ ٠

العلاقات المهمة التى ربطت بين بلاد الحبشة ومصر انتشار المسيحية فى الحبشة على يد تجار مصريين · ومنذ القرن الرابع الميلادى ظل بطريرك الاسكندرية يعين مطرانا مصريا ليرأس الكنيسة الحبشية حتى عام ١٩٤٦م وكان المطران المصرى يتمتع بمكانة سامية فى الحبشة لا تقل عن مكانة الملك · وقد عمل المطارنة المصريون على دعم المذهب الأرثوذكسى وترجموا كثيرا من الكتب الدينية من العربية إلى اللغة الحبشية كما أن بعض الكنائس قد شيدها مصريون · وبالرغم من هذه العلاقات الدينية ، فقد تردت علاقة الود بين البلدين إلى تهديدات بسبب موقف كل بلد من الأغلبية الدينية التى تتبع له فى البلد الآخر، فكان الأحباش يلوحون بقتل مسلمى الحبشة أو تحويل مجرى النيل عن مصر ، كما كانوا يتآمرون مع القوة الصليبية فى أوروبا لتطويق مصر وكسر احتكارها لتجارة الشرق (١) ·

ويروى «المقريزى» فى حوادث ١٣٢٦ « أن ملك الحبشة أرسل رسالة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاون يطلب فيهد إعادة ما خرب من كنائس النصارى ومعاملتهم بالإكرام والاحترام ويهدد بتخريب ما عنده من مساجد المسلمين وبسد النيل حتى لا يعبر إلى مصر » (٢) ·

وهكذا بالرغم من تعصب ملوك الحبشة وأباطرتها وإصرارهم على إقصاء المسلمين عن المناصب القيادية، وعدم مشاركتهم فى صنع القرار فى الدولة ، كان الإسلام يكسب أتباعا جددا يوما بعد يوم وكان تدفق الفقهاء

---

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور « دكتور » : بعض اضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى القرون الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، ١٤ ، ١٩٦٦ – ١٩٦٧ ، ص ٢٦٠

(٢) المقريزى ، على بن أحمد :الإلمام ، القاهرة ، د · ت ، ، ص ٣ ·

ورجال الصوفية من مصر والحجاز وشمال إفريقيا يسهم فى رفع مستوى الوعى الإسلامى بطريقة أعمق وأشمل مما كان عليه الحال من قبل · وقد اتبع مشايخ الطرق الصوفية منهجا مبسطا فى نشر الدين الإسلامى بهذه البلاد حيث كانوا يعتمدون على بساطة التقاليد ومزجها بالتلقين واستعمال الترانيم كالمدح والطبول فى الأذكار، وكان نجاحهم كبيرا حتى إن أتباعهم أضافوا عليهم الكرامات وخوارق الأعمال · وكان لجهدهم الروحى والاجتماعى – مثلا فى مساعدة الفقراء والضعفاء – أثر كبير فى إشاعة الاستقرار والألفة والتلاحم بين أشتات مختلفة من شعوب هذه المنطقة ، ولهذا كله غلبت روح التصوف على الثقافة الإسلامية فى بلاد القرن الإفريقى ، وكثرة انتشار القباب والأضرحة للأولياء والصالحين فى هذه البلاد دليل على ذلك ·

وهكذا نستطيع أن نقول من خلال هذا البحث الذى أشرنا إليه: استطاع الإسلام بسماحته وما يدعو إليه من إخاء أن يصوغ كل هذه المجموعات المتنافرة وأن يمزج بينها مزجا بشريا وثقافيا خالقا نموذجا لمايجب أن تكون عليه العلاقات البشرية فى هذه المنطقة من القرن الإفريقى ، والتى تعتبر متحفا للشعوب · وتمكن الإسلام – رغم المعارضة الرسمية له من الأباطرة وملوك الحبشة – من جذب أتباع له من المواطنين ، وعلى هذه الفئة من علمائهم وفقهائهم وقع عبء نشر العقيدة الإسلامية والدفاع عنها إلى يوم الديـــــن ·

وكانت للصلة – كما ذكرنا – بين بلاد القرن الإفريقى وجزيرة العرب ومصر أثر فى إرساء الحياة الثقافية فى البلاد ، سواء كان ذلك على المذهب الإسلامى أو المذهب المسيحى على السواء · وضمن هذه الشواهد امتد الإسلام فى هذه المنطقة الساحلية الممتدة من صعيد مصر حتى بلاد القرن الإفريقى،

وتمثلته شعوب كثيرة من قبائل البجا والتجرى والساهو والصومال والعفر والأرومو والجبرتة · وكانت السمة الفقهية غالبة على الثقافة الدينية فى هذه البلاد كما ذكرنا ، وإن كانت الثقافة العربية رغم تبنى هذه القبائل للنسب العربى لم تضرب بجذور عميقة كما هو الحال فى أوساط بلاد السودان، لذا ظلت هذه المجموعات الساحلية محافظة على لغاتها وعلى كثير من تقاليدها (١) باستثناء العفريين الذين يمتازون بتأثرهم بالثقافة العربية والإسلامية أكثر من غيرهم من شعوب هذه المنطقة وهذا يتضح فى اللغة العفرية، وفى الأعراف والتقاليد العفرية التى تستند غالبيتها نصا وروحا إلى الإسلام، ولا تتعارض معه فى كثير من الأحيان · وبهذا الحديث يمكننا أن نقول إننا أعطينا فكرة موجزة عن التأثر الثقافى العربى والإسلامى فى منطقة عموم القرن بصفة عامة وبلاد العفر بصفة خاصة ·

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المصدر من ص ٤٥٩ – ٤٦٩ ، عرب فقيه شهاب الدين بن أحمد ابن عبدالقادر « فتوح الحبشة » ، نشره رينيه باسه فى باريس ، ١٨٩٧م، من ص ١٣، ١٤، حتى ص ٥٢ ·